١٧

الإدارة في الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي ١٨٣٠

م٠م مروة مرزة حمزة

الملخص:

تمثلت السيطرة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر بتنوع أساليبها في الاضطهاد,والسيطرة على المجتمع الجزائري من خلال طمس حضارته والهوية الوطنية عن طريق أتباع سياسة الادماج والتنصير, والعمل على محو الهوية الاسلامية والدين الاسلامي وقيامها بأصدار مجموعة قوانين لنشر الثقافة والحضارة الفرنسية داخل الجزائر.

المقدمة:

في القرن التاسع عشر بدأت فرنسا تتطلع عن وجود مناطق نفوذ خاصة بها ,ووجدت ذلك في الجزائر لما تتميز به أرض خصبة زراعية وثقافة وحضارة كبيرة,لذلك أخذت تبحث عن حجج وذرائع لأحتلالها فوجدت ذلك في قضية مسألة الديون وحادثة المروحة التي أتخذتها ذريعة للغزو,حيث سقطت الجزائر بيد القوات الفرنسية وبدأت فور دخولها بتنفيذ خططها الأستعمارية ,وهذا أثر بشكل مباشر على المجتمع الجزائري بعد قيام أدارة الأحتلال بهدم الجوامع وتحويلها الى كنائس للمستوطنين والأستيلاء على الأراضي التابعة للمواطنين وفرض الضرائب والتدخل بحكم القضاة المسلمين أدى هذا الى هجرة البعض الى المدن وترك منازلهم بحثاً عن الأمان والحاجة الى العمل.

مدخل تمهيدي:

كانت تربط فرنسا والجزائر علاقات تجارية فقد كانت فرنسا تعمل على تطوير التجارة مع بلدان المغرب مستغلة شواطئها حيث عملت على أنشاء عدة مصانع تلك البلدان. واستمرت العلاقات بين الجانبين يسودها الهدوء

حتى أقام بعض الفرنسين على الشواطيء الفرنسية مكاناًللصيد[١],وفي عام ١٦٠٩أخذت العلاقات تسوء وتتدهور بسبب قيام مجموعة من القراصنة من الأوربيين الهروب من الجزائر بعدما سرقوا مدفعين من البرونز الذي أعطاهمياه الداي لتسليح سفنهم وأمر الداي بأرجاع المدفعين وأرسل الى الحكومة الفرنسية الا أنها لم تتجاوب ,فأقام مجموعة من البحارين الجزائرين بالهجوم على الفن الفرنسية وتكبدوا فيها خسائر فادحة[٢].وبعد هذه الحادثة اخذت العلاقة تسير بهدوء وعادت التجارة بين الجانبين حتى أنشئت الشركة الأفريقية عام ١٧٤٠ لتجارة القمح وتسويقها الى فرنسا[٣].

وفي عام ١٧٨٩ اجرى القنصل الفرنسي في الجزائر اتصالاً حث حكومته العمل على عودة العلاقات الفرنسية الجزائرية ,وفعلاً بدأت الاتصالات بين الجانبين وأخذ يسعى الى اطلاق سراح الاسرى الفرنسيين في الجزائر ,وتم اطلاق سراحهم الا ان العلاقات هذه لم تستمر طويلاً بعدما قدم القنصل الفرنسي مرة اخرى طلب الى الحكومة الفرنسية يطالبهم بأرسال مستوطنين الى الجزائر ومزارعين لقيام مستعمرات فرنسية[٤].

وبعد انتهاء الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩تمكنت فرنسا من سد حاجتها من القمح وخاصةً في مناطقها الجنوبية وتمت هذه الصفقة مع تاجران هما بكري وبوشناق ,حيث طلبوا من الحكومة الفرنسية تسديد ثمن القمح الا ان الحكومة الفرنسية لم تسدد الا قسطين فقط[٥],وبعد سنوات أرسل الباي الى الحكومة الفرنسية ثلاث رسائل ولم يتلقى أيه اجابة منهم وهذا التصرف زاد من غضبه,فأرسل الى القنصل الفرنسي في الجزائر يخبره عن عدم رد الحكومة الفرنسية على رسائله فأجاب (أن ملك فرنسا وشعبها لايحررون لك ورقة ولايرسلون أجابة على رسائلك المرسلة),فقام الداي وكانت بيه مروحة فضربه بها وومست وجه القنصل وقد اعتبرت فرنسا هذه الحادثة اهانةًلها

وطالبت الداي بتقديم اعتذار الا انه رفض ذلك, وبعد شهرمن هذه الحادثة رسى الاسطول الفرنسي مقابل الأسطول الجزائري وحدثت الحرب بدأت منذ١٨٢٧ وفرضت حولها حصاراً بحرياً ,وفي عام ١٨٣٠ تمكنت فرنسا من ارسال قوة عسكرية كبيرة لأحتلال الجزائر لتحقيق مصالحها وغاياتها والأستفادة من مواردها الأقتصادية(٦).

أولاً-استراتيجية النظام الاداري الفرنسي في الجزائر تمثلت ب:

١-اغواء القادة الجزائريين وأعيانهم وبعض شيوخ الطرق الصوفية

بعد سيطرة الفرنسيين على الجزائر تنوعوا بأستخدام الوسائل من أجل كسب الجزائريين الى جانبهم,لذلك عملوا على اغواء بعض الشخصيات ممن لهم قوة ونفوذ على الجزائريين انفسهم عن طريق منحهم صلاحيات ونفوذ بمايخذم مصالحهم الا ان اختيار هذه الشخصيات كان يتم على اساس شروط معينة يضعها الفرنسيون متمثلة باختيار الشخصية والقوة والاسلوب والمكانة العالية في محيطهم(٧).

وقد زاد استغلال الفرنسيين لهؤلاء الشخصيات الى مرحلة استخدامهم في عمليات التجسس ضد اخوانهم الجزائرين وابلاغ سلطات الاحتلال عن أماكن تواجدهم وعن كل عملية يقوم بها المنتفضون على الاحتلال الفرنسي وأعتقالهم وتعذيبهم بأبشع طرق التعذيب. ولم يكتفوا عن هذا فأن المتعاونيين مع الأحتلال أخذوا يعملون على مشاركة الفرنسيين بتقسيم الغنائم التي كانوا يستولون عليها من الأهالي الجزائريين من خلال ابلاغهم عنهم(٨). وكان من بين المتعاونين مع الأحتلال أحمد بن سالم الذي تمكن بدوره من بسط نفوذه على الأغواط ومواجهته للأمير عبد القادر الذي أراد أن ينزل به هزيمة لولا مجيء الفرنسيين وانقاذه عام ١٨٤١,وتمكنت من السيطرة على بعض الأسر الكبيرة التي كان لها نفوذها في الصحراء كأسرة أولاد سيدي الشيخ(٩).وبدأت

تشرع بأطلاق عدة قوانين باللغة العربية والفرنسية وأصدار المراسيم حتى سعت شيئاً فشيئاً الى تعميم اللغة الفرنسية وادراجها ضمن الوسائل التعليمية في المدارس,ففي ايلول ١٨٣٠ شرعت قانوناً سمي بقانون كلوزيل Clauzel نص على مصادرة جميع مؤسسات وأراضي الأوقاف الدينية ووضعها تحت تصرف الدولة الفرنسية,[١٠]وخلال الأعوام(١٨٤٨-١٨٥٠) أنشأ الفرنسيسون قرية تابعة للمستوطنين منهم من أجل تثبيت نواياهم الأستعمارية ومن هذه القرى قرية سان كلو والعفرون,كما منحوا المستوطنين الفرنسين حق التملك والتصرف في الملكيات والعقارات حتى اصبحت تابعةلهم [١١].

وفي عام ١٨٥٨ اصدر نابليون قراراً على أنشاء وزارة سميت بوزارة المستعمرات لحماية المستوطنين[١٢],وان اصدار مثل هذه القوانين التعسفية كان الهدف منها هو استغلال الشعب الجزائري والاستيلاء على حضارته وتاريخه ونهب مافيها من خيرات وطمس الثقافة العربية[١٣].كما عمل الأحتلال الفرنسي على تقسيم الجزائر عام ١٨٤٨الى قسمين الجزائر الشمالية التي اخضعت الى الحكم المدني فقد ضمت كل من قسنطينة ووهران ثم قسمت الى مقاطعات ثم الى ولايات وكان يرأس كل ولاية والى ويكون الى جانبه حاكم عسكري ,وظل القسم الجنوبي تحت الحكم العسكري وضباط المكاتب ويكون تحت تصرفهم جميع السلطات التشريعية والقضائية والتنفيذية[١٤].

٢-انشاء المكاتب العربية:

واجه الفرنسيون صعوبات كثيرة اثناء محاولتهم في التوسع داخل المناطق من اجل السيطرة ومد نفوذهم,بعد رفض الاهالي التعاون معهم سعى الفرنسيون الى تاسيس مؤسسة خاصة تكون واصلة بين الفرنسيين والجزائريين وبذلك تم تشكل المكتب العربي[١٥].واشرف على هذا المكتب

النقيب لامورسيار La orcier الذي كان يجيد التكلم بالعربية وان انشاء هذا المكتب لم يلبي اي من احتياجات المواطنين الجزائريين بل كان من اجا اضعافهم وبسط السيطرة الفرنسية(١٦).

وبعد سيطرة الفرنسيين على مدينة قسنطينةعام ١٨٣٧ تسلم مهمام المكتب العربي الرائد بيليسي وعاودت التوترات بين الاهالي والفرنسيين (١٧).واستمرت فرنسا بالبحث عن حلول من اجل فرض سيطرتها وحكمها على الجزائريين واخضاعهم,لذلك لجأت الى ايجاد عناصر فرنسية تكون مقبولة من الاهالي من خلال تعاملهم معهم بتقاليدهم وعاداتهم من اجل كسبهم ,وفي الوقت نفسه التجسس عليهم ,فأنشاء المكتبات العربية كان الهدف منه هو خضوع الأهالي الجزائريين للسيطرة الفرنسية وتثبيت نفوذهم مع أستغلال مواردهم الأقتصاديةوالحد من نفوذ سيوخ القبائل وتقليص سيطرتهم(١٨).ووزعت هذه المكتبات في كل المناطق الخاضعة تحت سيطرتها حتى بلغ عددها عام ١٨٦٥واحد وأربعين مكتباً.تألفت هذه المكتبات من المدير الذي يكون المسؤول الأول,ومجموعة من الضباط ومترجمين وموظفين اخرين,وقد ازداد نفوذ هذه المكتباب مع مرور الوقت واصبح مسؤوليها صاحبين نفوذ وشأن فهم الذين يخلعون الموظفين من المناصب المحلية وأستبدالهم بأخرين يكونون متعاونين معهم , كما أصبحت بيدهم جميع الأوامر والمسائل التشريعية والقضائية وفرض الضرائب على الاهالي وجمعها منهم(١٩) . كما أهتمت هذه المكتبات بالتجسس على الاهالي من خلال معرفة ما يدرسوه من أصول الدين السلامي الذي كان يأثر تأثيراً كبيراً على مخططاتهم الأستعمارية, وسعوا أيضاً الى فرض رقابة صارمة على كل من رجال الدين والمساجد وكل شخص ينتمي اليها.ورغم القوانين التعسفية التي صدرت بموجب وجود هذه المكتبات الا انها لم تسمر

طويلاً فبعد سقوط نابليون الثالث تم حلها في عام ١٨٧٠,وتحويلها الى مدن مدنية تحت اشراف النظام المدني(٢٠).

٣-اتباع سياسة التنصير في الجزائر

سعى الفرنسين بعد احتلالهم الجزائر عام ١٨٣٠ الى اتباع سياسة جديدة تدعو الى التنصير,ولم يمر سوى شهرين على الاحتلال اخذ الفرنسين يعملون على هدم الدور والزوايا والمساجد بعد صدور قرار من قبل قائد القوات الفرنسية بهدمها وتحويلها الى كنائس تابعة للمستوطنين الأجانب,وكان من بين هذه المساجد مسجد كتشاوة الذي وضع عليه علم فرنسا والصليب المسيحي من قبل الدوق روفيغو وتم تحويله الى كنيسة,رغم قيام الاهالي بالمعارضة واثاروا الغضب الا انه لم يجدي نفعاً(٢١) .وبدأت الهجرات الى الجزائر تزداد بأعداد كبيرة وغير متوقعة وخلال الأعوام ١٨٦٧-١٨٦٩ جمع الكاردينال لافجيري مايقارب من ١٧٥٢ طفل من اجل اعتناقهم المسيحية وكانت تتراوح أطفالهم بين (٨-١٠سنوات) ووضعهم في أماكن خاصة مع عدم السماح لهم برؤية أباءهم ,وفي هذا الوقت عم الجزائر موجة من الجراد والكوليرا والمجاعة أنتشرت وعلى أثرها تم نقل هؤلاء الأطفال الى مراكز خاضعة تحت الأحتلال الفرنسي في مرسيليا, كما سعى لافيجتري على تكوين منطقة خاصة للأطفال وعزلهم عن الباقين وأصبحت هذه المنطقة خاصة بالأطفال العرب المسيحين(٢٢).

٤-سياسة الفرنسة

منذ ان احتلت القوات الفرنسية الجزائر سعت بكل قواها من اجل القضاء على طمس الثقافة واللغة العربية,واحلال محلها اللغة الفرنسية وجعلها لغة الام داخل الجزائر لذلك سعت الى نشرها بالتدريج خوفاً من اثارة غضب المواطنين,وبدأت تطلق محاولاتها لتجنيس الجزائرين الا انها فشلت في هذه

الفكرة فلم ينخرط منهم في الجيش الفرنسي الا عدد قليل وهذا يرجع الى حفاظ الجزائرين على ثقافتهم ولغتهم واعتزازهم بعرقهم ولم يكتفوا الفرنسيون بهذا بل سعوا الى اصار قانون نص على رفضهم بفتح اي مدرسة خاصة باللغة العربية الا بعد حصولهم على موافقة من قبل الاحتلال الفرنسي وبشروط صعبة,لذلك تمثلت السياسة الفرنسية بالاستعمارية وكان هدفهم ليس نشر الثقافة كما ادعوا وانما طمس الحضارة وظهر هذا بشكل واضح حينما جعلوا اللغة الفرنسية هي اللغة الاصلية وتدريسها في كافة المراحل الدراسية مع دراسة التاريخ الفرنسي,كل هذه الاسباب كانت كفيلة بجعل الجزائر جزءً لا يتجزء من فرنسا(٢٣).

٢: استراتيجية الادارة الفرنسية اقتصادياً وتشمل:

١-مصادرة الاراضي

بعد احتلال الجزائر شرعت القوات الفرنسية بأغتصاب الأراضي بمختلف الطرق والوسائل, وفرض النظام العسكري والاستيلاء على كل الموارد الاقتصادية داخل الجزائر, وهذا أثر بشكل كبير على المجتمع الجزائري الذي خسر أكثر من مليونين هكتار من أراضيه الخصبة(٢٤).

بدأت عملية سلب الأراضي من قبل الفرنسيين عام ١٨٣٠ حيث قاموا بضم ممتلكات الدولة العثمانية الى الممتلكات الفرنسية ,وشرعت أيضاً بأخذ الممتلكات الاسلامية والزوايا والمدارس كونها تقدم خدمات اجتماعية وتأثر سلباً على الفرنسيين, حيث وصل عدد المؤسسات المسلوبة ١٧٦ مؤسسة من بينها الجوامع والزوايا(٢٥).

عملت أيضاً على استغلال ونهب أراضي القبائل المنتفضة عليها وجعلت عليها حراسات فرنسية ,حيث أن هذه الأعمال شجعت المستوطنين

بالقدوم الى الجزائر ولم يشتمل على الفرنسين فقط وانما جاء مستوطنين من سويسرا والمانيا حتى بدأ الاستيطان شيئاً فشيئاً, كما استحوذت على أراضي القبائل في الصحراء, فضلاً عن مصادرة الأراضي غير المزروعة وفي عام ١٨٤٤ صدر قرار بمنح المواطنين سندات خاصة لتحديد الملكيات الفردية, أما بالنسبة للأراضي التي لا تحتوي على ملكيات فتكون عائدة للفرنسين[٢٦], وهكذا سعت فرنسا الى استغلال الاراضي وخاصةً الساحلية منها وبالرغم من كل هذا فأن المستوطنين طالبوا بتوفر امتيازات أكبر على حساب أهلها الأصليين.

٢- مرسوم ١٨٦٣ والقرار المشيخي

صدر هذا المرسوم عام ١٩٦٨ وكان الهدف منه هو الحفاظ على ملكية الأراضي داخل الجزائر,ومنع بموجب هذا المرسوم على اي شخص يحاول استغلال او سلب الاراضي التي تعود للاهالي الا من قبل الدولة وتمكنوا الجزائرين من امتلاك اراضيهم وفتح مجالات واسعة امام الشركات الاجنبية[٢٧].

وقد ظهرت العديد من القوانين التي نصت على تحديد رسم حدود الاراضي وتقسيمها,لكن فيما يخص المستندات والوثائق التي تضمن للأهالي حقهم في أراضيهم ظلت غامضة,اما بالنسبة للأراضي التي تقع داخل الأقاليم العسكرية فعند الدخول لها من قبل مالكيها يجب أن تكون لهم أثباتات تضمن بأن هذه الأراضي لهم والا فيخسروا كل حقوقهم [٢٨].

وتبعاً لتلك السياسة التي أنتهجتها القوات الفرنسية فقد خسر الكثير من الفلاحين ومالكي الأراضي أراضيهم وتم تحويلها للفرنسين لأستغلالها ,وتم تحويل الكثير من مالكي الاراضي هذه من مزارعين وملاكين الى خماسيين

في نفس أراضيهم ولم يحصلوا على شيء منها سوى مايكفي لسد المعيشة,ومن تمكن من الأحتفاظ بأراضيه لم يعد قادر على شراء البذور والماكنات لذلك أضطر البعض الى شرائها من الفرنسين وأسعار باهضة وفوائد عالية حيث بلغت نسبة هذه الفوائد شهرياً مايقارب من ٢٠٪ وهذه أثقلت كاهل المزارع الجزائري, بعد أن وصل الحال الى ماهو عليه لم يجدوا غير أن يتركوا أراضيهم والهجرة منها وتمكن بذلك الفرنسيون من تفكك المجتمع القبلي في الجزائر ورضوخ المجتمع تحت ادارته(٢٩).

أما بالنسبة للقرار المشايخي فقد صدر عام ١٨٦٥والذي اطلق عليه قانون (سيناتوس كونسولت) الذي نص مايلي:

-أن الأهلي المسلم الجزائري فرنسي الا أنه يخضع لحكم القانون الاسلامي,ويمكن قبوله في الخدمة العسكرية فضلاً عن الوظائف الحكومية في الجزائر وتمتعه بالحقوق التي يحصل عليها المواطن الفرنسي لكن بشرط ان يكون خاضعاً لكافة المراسيم الفرنسية السياسية وغيرها وأن يتخلى عن مباديء الشخصية الأسلامية(٣٠).

وقد أعتبر هذا القرار مجحف بحق الجزائرين فهو أعتبرهم مجرد رعايا داخل الدولة وغير متساوين في الأمتيازات والحقوق,حيث كان حصول المواطن الجزائري على الجنسية يتطلب وقتاً طويلاً,ولم يكتفي لهذا الحد بل حرم هذا القانون الجزائرين من منحهم وظائف مدنية خارج الجزائر,وطبقاً لهذا القانون فأن المواطنين الجزائرين أصبحوا بالمرتبة الثانية بعد تجنيسهم بالقوة.وتمكن الاحتلال الفرنسي بموجب القانون من التفرقة بين ابناء الشعب الجزائري وجعله طبقات دون مساواة وهذه السياسة هي التي كانت تسعى لها قوات الاحتلال(٣١).

٣-الجانب التعليمي

شرعت فرنسا بعد أحتلال الجزائر بأتباع سياسة عنصرية لم تقتصر على جانب واحد بل تناولت عدة مجالات,وكان من بين هذه المجالات هو التعليم,حيث ارادت محو اللغة والثقافة العربية وابدالها الثقافة الغربية لذلك أخذت تحارب الدين الأسلامي,لذلك عمدت الى ايجاد مدارس تكون طبقاً لسياستها ومسايرة للأهالي الا أن مضمونها من الداخل مختلف هدفه محو الشخصية الجزائرية,بدأت أول مرحلة تعليمية فرنسية في الجزائر بقيامهم بأنشاء مدارس في مدينة وهران والعاصمة وعنابة[٣٢] وكان الهدف منها هو تعليم اللغة الفرنسية للطلاب الجزائرين الا ان الاهالي رفضوا ذلك.ثم انشئوا مدرسة أخرى أطلق عليها المدرسة العمومية وتم أنشاءها في العاصة نفسها الجزائر,وكان يدرس فيها اللغة الفرنسية فقط والتي اصبحت دراستها واجبة فيما يخص الوظائف الادارية للاهالي يشترط على من يتقدم للوظيفة ان يتقن اللغة الفرنسية[٣٣]وفي عام ١٨٧٣ أنشأ مدرستين ايضا في عنابة ومستغانم, وضمت عددا كبيرا من الطلاب الجزائرين[٣٤].

كما تم تأليف لجنة خاصة بتأليف الكتب الفرنسية والمترجمة في الجزائر عام ١٨٤٩,وفي عام ١٨٥٠ تم أنشاء أربع مدارس وكان يدرس بها كافة المناهج ويتم تدريس المواد من قبل معلمين خاصين واحد جزائرين والاخر فرنسي,وفتحت مدارس اخرى في وهران حتى وصل العدد الى ٣٦ مدرسة فرنسية عام ١٨٧٠,وتم أيضاً أنشاء مدارس خاصة للبنات واحدة في العاصمة والثانية في قسنطينة وكانت تدار من قبل معلمات[٣٥]. وفي عام ١٨٨٥ تم انشاء معهدين في وهران وقسنطينة وكان خريجوا هذه المعاهد بعد أتمام تخرجهم يلتحقون في الجيش أو المكاتب ذات العمل الأداري.

أما فيما يخص التعليم الثانوي ففي عام ١٨٧٠ أصدر مرسوم تم بموجبه الغاء المعاهد الفرنسية العربية ونقل طلابها الى مدارس ثانوية وتم فصل

الطلاب العرب عن الفرنسيين, حيث تم انشاء ثلاث مدارس ثانوية في العاصمة واحدة والثانية في قسنطينة والاخرى في بن عكنون وكانت تستظيف ابناء الطبقة الارستقراطية وكان معظم طلابها هم ابناء المستوطنين الفرنسيين,وبسبب هذا التميز بين الطبقات اخذ عدد الطلاب يقل خلال الاعوام ١٨٧٢-١٨٧٣,مما ادى الى زوال المدارس العربية(٣٦).أما فيما يخص التعليم العالي فقد سعت الادارة الفرنسية الى انشاء مدرسة خاصة للطب والحقوق ثم الاداب والعلوم(٣٧).

بعد أن تبين هدف أدارة الأحتلال الفرنسي وقيامه بأخذ اجراءات صارمة بحق التعليم الأسلامي وأنزعاجهم منه ,أبدى الأهالي عدم رغبتهم في أرسال أبناءهم الى المدارس,كما حث المعلمون الأهالي على عدم ارسال ابناءهم للمدارس الفرنسية لأن التدريس فيها أصبح مختلف وهذا يأثر على الطلبة ويفصلهم عن عاداتهم وتقاليدهم,لذلك سعى بعض الرجال في القرى الى تعليم الأطفال على الدين الاسلامي واللغة العربية وكانت تبدأ دروسهم بعد صلاة الفجر ودون علم قوات الأحتلال,وكل مافعله الاستعمار الفرنسي في الجزائر لم يغير شيئاً منهم فقد بقوا متمسكين بعقيدتهم ولغتهم العربية,وجاء ذلك على لسان الحاكم الفرنسي بقوله " أن الجزائر لن تصبح مملكة فرنسية"(٣٨).

٤-الجانب الديني

لم تقتصر سيطرة الأحتلال الفرنسي على الموارد الأقتصادية والتعليم بل تعدت حدودها الى التدخل في المساجد والزوايا ومؤسسات الأوقاف الأسلامية,وأخذت تضيق على الدين الأسلامي من خلال قيامها بهدم دور العبادة وتخريبها,وكان سبب قيامها من أجل محو الثقافة الأسلامية للمجتمع الجزائري التي تعتبر ركيزة أساسية في بناء المجتمع,قامت قوات الاحتلال

بهدم المساجد وتحويلها الى كنائس للمستوطنين وأماكن لربط الخيول الخاصة بهم بعد منحهم الأذن من قبل الأدارة الفرنسية,وهذا حدث عام ١٨٣٠ عند بداية دخولهم الجزائر قاموا بغلق ثلاثة عشر مسجداً كبيراً ومائة وثمانون مسجداً صغيراً وأثناعشر زاوية أستمر هذا الوضع الى عام ١٨٦٢ [٣٩] .حيث شمل كل مدن الجزائرمن بينها قسنطينة التي تعرضت جوامعها الى الهدم والتخريب وحولت الى كنائس وقسم منها حول الى مخازن ثم الى ملاجيء,وفي ٨سبتمبر ١٨٣٠ أصدرت الأدارة الفرنسية قراراً نص على حجز جميع أملاك العثمانيين ثم صدر قانون أخر منح حق حجز كل أملاك الأوقاف الدينية.

واستمرت بوضع رقابة على رجال الدين لمعرفة مايبدون من خطب ومواعظ دينية تأثر على الأحتلال الفرنسي,ولم يكتفوا الى هذا الحد بل عملوا على أغلاق المدارس الدينية ومنع المؤذنين من أداء واجبهم وتوضيحهم لمعاني الأيات القرآنية للطلاب[٤٠].

نجحت أدارة الأحتلال الفرنسي بأغواء بعض شيوخ الزوايا عن طريق منحهم بعض المناصب والمال وبالمقابل أثارت العداوات بين بعضهم البعض وكان هدفها هو تفرقتهم وأثارة النعرات الطائفية,وفعلاً تمكنت من أنضمام مجموعة دينية من شيوخ الزوايا واعطتهم بعض الأقطاعات لأبعادهم عن الثوار وعدم تحريض المواطنين على رفع السلاح بوجه المحتل,لذلك تمكنت أدارة الأحتلال من كسب شيوخ الزوايا لصالحهم[٤١].كما سعت الى توسيع علاقاتها مع الطريقة التيجانية في داخل الجزائر وخارجه من أجل تحقيق مصالحها ونواياها الأستعمارية,وحاولت أن تسحب بنفس الأسلوب الطرقة القادرية الا أنها لم تتمكن من ذلك بسبب أتباع شيوخها منذ بداية الأحتلال طريق الجهاد والمقاومة,لذلك ظلت تسعى الأدارة الفرنسية الى

محو الشخصية الأسلامية للشعب الجزائري بمختلف الوسائل,وأخذت تتدخل في محاكم القضاء الأسلامي الجزائري وفرضت على أن يكون النطق بالحكم بأسم الملك الفرنسي ثم بأسم الأمبراطور ويعتبر هذا العمل مخالف للقانون وللتعاليم الأسلامية(٤٢) .وفي عام ١٨٤٢ أصدار قرار بزيادة عدد المحاكم في المناطق المحتلة من قبل فرنسا وأن تكون القرارات الصادرة من الحاكم هذه صادرة بموجب القانون الفرنسي وليس الأسلامي.وأصدر أيضاًفي عام ١٨٥٤ قانوناً أخرلأنشاء مجلس شرعي يتكون من قضاة ومفتين,كما أصدر نابليون الثالث قراراًعام ١٨٥٩ مرسوم سحب بموجبه كل صلاحيات القضاة في المحاكم الاسلامية حتى أصبح القاضي الفرنسي هو من يعلن الأحكام,وبالتالي تمكنت الأدارة الفرنسية من أزاحة المحاكم الدينية ولم يبقى أمام الجزائريين سوى التعامل مع القضاءالفرنسي(٤٣) .

٥-أثرالسياسة الفرنسية على المجتمع الجزائري

تركت السياسة الفرنسية خلفها الكثير من الأثار,فقد أتبع الأحتلال سياسة قائمة على الظلم والأضطهاد بعد أن عملت الأدارة الفرنسية بأخذ الأراضي من مالكيا وفرض الضرائب على المزارعين ,ومما زاد الأمر تعيداً حصول موجة من القحط وأنتشار الأوبئة والأمراض فضلاً عن انتشار الجراد وهذا أدى الى حدوث تراجع أقتصادي وأثر بشكل واضح على المواطنين مما أضطر بعضهم الى بيع أراضيهم ومنازلهم حتى أصبح الدخل محدود جداً, وفي عام ١٨٦٧ حدثت موجة أخرى من المجاعة وانتشرت الأمراض والتي راح ضحيتها العشرات من أبناء الجزائر من مختلف الأعمار(٤٤).وظل يعاني الشعب الجزائري من ويلات الاحتلال الفرنسي وماسببه له مصاعب,وبسبب أنتشار الجوع والمرض أخذ المواطنين الجزائرين يتساقطون واحد بعد الأخر ولم تحرك أدارة الأحتلال لفعل أي شيء,مما أدى الى ترك بعض الأهالي

منـازلهم والهجـرة منهـا الـى المـدن بحثـاً عـن العـيش وهـذا يـدل علـى السياسـة التـي أتبعهـا الأحـتلال كـان الهـدف منهـا تـدمير الثقافـة والحضـارة الجزائريـة وتسخير مواردها الأقتصادية لصالحهم(٤٥).

الخاتمة:

-سـعت سـلطات الاحـتلال الفرنسـي مـن دخولهـا الجزائـر الـى تسـخير مواردهـا الاقتصـادية الـى صالحة,فضـلاً عـن قيـامهم بتحويـل الجوامـع الـى كنـائس مسيحية وبحماية عسكرية فرنسية.

-مصـادرة كـل امـلاك الوقـف والزوايـا ,مـع أخـذ الأراضـي الزراعيـة مـن مالكيهـا بالقوة وفرض الضرائب الباهضة عليهم .

-التـدخل فـي شـؤون النظـام القضـائي الأسـلامي فـي الجزائـر وأعطـاء الأوامـر بأن يكون نطق الحكم بأسم الحاكم الفرنسي.

-الغـاء المـدارس العربيـة الأسـلامية وفـتح مـدارس عربيـة -فرنسـية مـن أجـل القضاء على الشخصية العربية والسعي لنشر اللغة الفرنسية .

-محولـة تجنـيس ابنـاء الشـعب ودمجهـم مـع المسـتوطنين مـع تخلـيهم عـن هـويتهم الأسـلامية,وذلك بـأغرائهم بمـنحهم وظـائف اداريـة ورغـم أتبـاع فرنسـا لهـذه السياسـة الا أنهـا لـم تـنجح فـي ذلـك فقـد ظـل الشـعب الجزائـري معتـزاً بهويته الوطنية وحضارته والقيم الأسلامية.

---

(١)عواس منير,مواقف الدول المغاربية والاوروبية من احتلال فرنسا للجزائر من ١٨٣٠-١٨٤٨,رسالة ماجستير, كلية العلوم الانسانية والاجتماعية,جامعة العربي بن مهدي,٢٠٢١-٢٠٢٢,ص١٦.

(٢)جلال يحيى ,السياسة الفرنسية في الجزائر١٨٣٠-١٩٦٠,دار المعرفة,القاهرة,ص ٤٢.

(٣)المصدر نفسه,ص٤٤-٤٥.

(٤)يحيى بوعزيز,الموجز في تاريخ الجزائر الحديثة الجزء الثاني,الطبعة الثانية,ديوان المطبوعات الجامعية,٢٠٠٩,ص١٠٦-١٠٨.

(٥)ارجمنت كوران,السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر,ترجمة:عبد الجليل التميمي,منشورات الجامعة التونسية,١٩٧٠,ص٣٢.
(٦)المصدر نفسه,ص٣٣-٣٤.
(٧)عثمان زقب:السياسة الفرنسية في الجزائر ١٨٣٠-١٩١٤ دراسة في الأساليب السياسية والأدارية,أطروحة دكتوراه,كلية العلوم الأنسانية والأجتماعية,جامعة الحاج الخضر - باتة,٢٠١٤-٢٠١٥,ص٨٥.
(٨)مصطفى الأشرف,الجزائر الأمة والمجتمع,ترجمة:حنفي بن عيسى,دار القصبة للنشر,الجزائر,٢٠٠٧,ص٥٨-٦١.
(٩)خطوف حنان وزردانة شهرزاد,الأدارة الفرنسية لقبائل الغرب الجزائري وأنعكاساتها ١٨٣٠-١٨٧٠,رسالة ماجستير,كلية العلوم الأنسانية والأجتماعية,جامعة جامعة ابن خلدون – تيارت,٢٠١٨-٢٠١٩,ص١٩-٢٠.
(١٠)مقلاتي عبدالله:المرجع في تاريخ المغرب الحديث والمعاصر(الجزائر تونس المغرب ليبيا),ديوان المطبوعات الجامعية,٢٠١٢,ص١٠٧.
(١١)المصدر نفسه,ص٢١ .
(١٢)بوعزة واخرون:الجرائم الفرنسية والابادة الاجتماعية,ص٨٨-١٠٠.
(١٣)محمد العيد مسعي احمد:مسألة الأوقاف في السياسة الفرنسية ١٨٣٠-١٨٧٠,رسالة ماجستير,كلية العلوم الأجتماعية والأنسانية,جامعة الشهيد لحمه- الخضر-الوادي,٢٠١٦-٢٠١٧,ص٣٩-٤٠.
(١٤)خطوف حنان وزردانة شهرزاد.المصدر السابق,ص٢٢-٢٣.
(١٥)عمار بوحوش:التاريخ التاريخ السياسي للجزائر,ص١٢٩.
(١٦)صالح فركوس:تاريخ الجزائر من ماقبل الأحتلال الى الاستقلال,دار العلوم للنشر والتوزيع,الجزائر,٢٠٠٥,ص٢٤٦.
(١٧)خطوف حنان وزردانة ,المصدر السابق,ص٢٥.
(١٨)المصدر نفسه,ص٢٧-٢٨.
(١٩)عبد الحميد زوزو:الاوراس أبان فترة الأستعمار الفرنسي التطورات السياسية والأقتصادية والأجتماعية,١٨٣٧-١٩٣٩,دار هومة,الجزائر,٢٠٠٥,ص١٩٤.
(٢٠)خطوف حنان وزردانة:المصدر السابق,ص٢٨-٣٠.
(٢١)أحمد عميراوي وأخرون,السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية ١٨٤٤-١٩١٦,دار الهدى ,الجزائر,٢٠٠٩,ص١٠٠-١٠١.
(٢٢)خطوف حنان وزردانة شهرزاد,المصدر السابق,ص٦٠-٦١.

(٢٣)نور الهدى جندلي وبوشاهد لطيفة:سياسة الأدماج الفرنسي في الجزائر وردود الفعل الوطنية ١٨٥٢-١٩٣٩,رسالة ماجستير ,كلية العلوم الأنسانية والأجتماعية,جامعة ماي قالمة,٢٠١٩,ص١٨-١٩.

(٢٤)صاري الجيلالي ومحمود قداش:المقاومة السياسية من ١٩٠٠-١٩٥٤,ترجمة:عبد القادر بن حراث,الجزائر,١٩٨٧,ص١٣٠-١٣١.

(٢٥)صالح عباد:المستوطنون والسياسة الفرنسيةفي الجزائر ١٨٧٠-١٩٠٠,الجزائر,١٩٨٤,ص١٠-١٢.

(٢٦)مقلاتي عبدالله:المصدر السابق,ص١٠٨-١٠٩.

(٢٧)محمد العيساوي وأخرون:الجرائم الفرنسية في الجزائر أثناء الحكم العسكري(١٨٣٠-١٨٧١),مؤسسة كنوزالحكمة للنشر والتوزيع,٢٠١١,ص١٥٤.

(٢٨)جمال خرشي:الاستعمار وسياسة الاستيعاب في الجزائر(١٨٣٠-١٩٦٢),دار القصبة للنشر والتوزيع,٢٠٠٩,ص٢٥٨.

(٢٩)نور الهدى جندلي وبوشاهد لطيفة:المصدر السابق,ص٢٩.

(٣٠)ربيعة زقب ونصيرة عوينات:السياسة الثقافية الفرنسية في الجزائر (١٨٣٠-١٩١٤),رسالة ماجستير,كلية العلوم الاجتماعية والانسانية,جامعة لخضر-الوادي,٢٠١٧,ص٨٨.

(٣١)محمد العيساوي واخرون:المصدر السابق,ص١٤٢-١٤٣.

(٣٢)الطاهر زرهوني:التعليم في الجزائر قبل وبعد الاستقلال,(د.ط),(د.ت),ص١٥.

(٣٣) دنيا حمودة وحسناء بشيش:السياسة التعليمية في الجزائر ١٨٧٠-١٩١٩,رسالة ماجستير,كلية العلوم الانسانية والاجتماعية,جامعة ٨ماي قالمة,الجزائر, ص١٠-١٢.

(٣٤)جمال قنان:التعليم الأهلي في الجزائري في عدي ألاحتلال١٨٣٠-١٩٤٤,المركز الوطني للدراسات ,الجزائر,٢٠٠٧,ص١٩.

(٣٥)دنيا حمودة وحسناء بشيش,المصدر السابق,ص١٤-١٦.

(٣٦)محفوظ قداش:تاريخ الحركة الوطنية,ترجمة:أحمد بن البار,الجزء الأول,دار الأمة ,الجزائر,(د.ت),ص٤١.

(٣٧)دنيا حمودة وحسناء بشيش,المصدر السابق,ص٢٧-٣٣.

(٣٨)ربيعة زقب ونصيرة عوينات:المصدر السابق,ص٦٦-٦٨.

(٣٩)خطوف حنان وزردانة شهرزاد:المصدر السابق,ص٤٦-٥٠.

(٤٠)أبو قاسم سعد الله:تاريخ الجزائر الثقافي الجزء الثالث,الطبعة الأولى,دار الغرب الأسلامي,بيروت,١٩٩٨,ص٥١.

([٤١])فتحيـــة معمري:مظـــاهر الـــولاء وعـــدم الأســـتقرار بـــالأوراس أبـــان الفتـــرة الكولونيالية,أطروحـــة دكتوراه,كليـــة كليـــة العلـــوم الأنســـانية والأجتماعية,جامعـــة الحـــاج الخضر,باتة,٢٠١١-٢٠١٢,ص١٥.

([٤٢])خطوف حنان وزردانة شهرزاد:المصدر السابق,ص ٤٨-٥٤.

([٤٣])المصدر نفسه,ص٥٦.

([٤٤])مقلاتي,المصدر السابق,ص١١٤.

([٤٥])المصدر نفسه:المصدر السابق,ص١١٥.